المكتبة الحديثة للأطفال

٣٠ ن

محمد عطية الابراشي



تأديب الأميرة

وقصص أخرى

... للطباعة والنشر

المكتبة الحديثة للأطفال

محمد عطية الإبراشي



تأديب الأميرة
وقصص أخرى

دار المعارف

المكتبة الحديثة للأطفال

تأديب الأميرة

بقلم

محمد عطية الابراشي

عميد مفتشي اللغة العربية سابقاً

الطبعة الثامنة منقحة ومزيدة

[illegible] ١١٠٩ [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين ، سيدِنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرّنى أن أقدم للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم .

وحِرْصاً على أن أضعَ أمامَهم المَثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورة ملائمة للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخير منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجد أبناؤنا وبناتُنا فى هذه المجموعةِ ألواناً من القِصَصِ الخيالية ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ ما يرغّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ، فما إن يبدأ أولَ قصة حتى يستهويَه وضوحها ، وسهولةُ لغتها ، وجمالُ أسلوبها ، وحرصُها على المُثُلِ العليا فى النواحى الخلقية والاجتماعية والعاطفية : فيمضى إلى نهايتها ، ومن هذهِ إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقاً إلى مُعاوَدَةِ قراءتها .

وَقَدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صَعُب ، وَوَضَّحتُ بعضَ القصصِ بصور واضحة؛ لتكونَ عونًا على فهم هذه القصصِ ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظةِ ، وَجمالَ الذوقِ .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاةِ خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائهم وبناتهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفلِ ، وتنمى خيالَه ، وتسمُو بروحِه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربى حواسَّه ، ويجد فى قراءتها لَذةً وسروراً يشعرُ بها الكبارُ أنفُسهم حينَ يقرءونها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ النَّجيل النَّجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى **جمهورية مصر العربية** ، والشرقِ العربىِّ .

أسأل الله التوفيق ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مُجيب .

محمد عطية الإبراشى

تَأْديبُ الأَميرةِ

(١)

كانَتْ إِحدَى الأَميراتِ حادَّةَ الطَّبعِ ، عَصَبيَّةَ المِزاجِ ، سَيِّئةَ الْخُلُقِ ، سَريعَةَ التَّأَثُّرِ ، تتَأَثَّرُ لِأَقَلِّ سَببٍ وبغَيْرِ سَببٍ ، ولا تُفكِّرُ فى شُعورِ أَحَدٍ ، فَتأَلَّمَ مِنها كلُّ مَن اتَّصَلَ بها مِن الخدَم والمُرَبِّياتِ ، وَتَأَلَّمُوا لَها ؛ لأَنَّها لَمْ تَجِدْ مَن يُؤَدِّبُها ويُهذِّبها ويُربِّيها ويُحاسِبُها عَلَى ما تَفعَلُ منْ خَطأٍ ؛ فقَدْ فَقَدتْ أُمَّها السُّلطانَةَ لِسوءِ الْحَظِّ ، وهِيَ صَغيرةٌ ، فأَحَبَّها أَبوها السُّلطانُ حُبًّا كَثيرًا ، لِيُعَوِّضَها ما فَقَدَتْهُ مِن عَطْفِ أُمِّها ورِعايتِها وَشَفقَتِها ، ولٰكِنَّهُ حاوَلَ أَنْ يُعالِجَ حِدَّةَ طَبعِها ، وسُرْعَةَ انْفِعالِها ، وسُوءَ أَدَبِها ، فَلمْ يَسْتَطِعْ . حاوَلَ كَثيرًا أَنْ يُهذِّبَها ويُقوِّمَ اعْوِجاجَها ، ويُهَدِّئَ طَبْعها ، ويُزيلَ شَراسَتها . فَلَم يتمكَّنْ ،

وتَضايقَ كلَّ المضايَقةِ ، وَتَألَّمَ لحالِ كلِّ التَّألُّم ، لِأَنَّهُ أرادَ أَنْ تكونَ ابْنتُهُ الْمَثَلَ العالِيَ لِلتَّرْبيَةِ والتَّهذيبِ ، والأَدَبِ والكمالِ ، ولكنَّهُ لمْ يَنْجَحْ فى الوصُولِ إلى أُمْنِيَّتِه ، وتَحقيقِ رَغْبَتِهِ .

وفى يومٍ منَ الأيامِ رأى السُّلطانُ أنَّ ابنتَه الأَميرة ـ واسمُها سِهامُ ـ قَدْ تَجاوزَت الحدَّ فى الإسَاءَةِ إلى الْخَدَم وشَتْمِهم ، وسَبِّهم وَضَرْبِهِمْ ، لِأَقَلِّ سَببٍ حيناً ، وبغَيْرِ سَببٍ أَحْياناً ، لِحِدَّةِ طَبعِها وعَصَبيَّةِ مزاجِها . وقلَّةِ صَبْرِها. فَقَالَ أَبوها بصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : إنِّى أَتَمنَّى عَلَى اللهِ أَنْ أَجِدَ مَنْ يَسْتَطِيعُ تَرْبيةَ ابنَتى كما يَنبَغى ، ومُعالَجَتها مِنْ حِدَّةِ طَبعِها ، وحِدَّةِ مزاجِها .

فَسَمِعتْ حُوريَّةٌ من الْحُورِيَّاتِ ما تَمنَّاهُ السُّلْطانُ المحسِنُ المحبُّ للخَير ، الكثيرُ العَطفِ عَلَى الفُقراءِ والمساكِين ، المحبوبُ من الرَّعيَّة ، ورأَتْهُ حَزيناً ظَهَر عليهِ الْحُزْنُ الشَّديدُ ، فَتألَّمتْ له ، وحَزِنَت لحُزْنِهِ ،



الأميرة تسيء إلى الخادمة ، والحورية تنظر إليهما من النافذة

وشارَكَتْهُ شُعورَه ، وصَمَّمتْ عَلَى أَنْ تُحقِّقَ ما يَتَمَنَّاهُ السلطان ، وأَنْ تَعْمَلَ كلَّ وَسيلةٍ لِتأْديبِ الأَميرةِ وتَهذيبِها ؛ حَتى تَصِيرَ مَثلًا عالِياً لِلفَتَياتِ المؤدَّباتِ المُهذَّباتِ ؛ حُبًّا للسلطانِ ، وتقديرًا لإِحْسانِه.

وتَعَهَّدَت الحوريَّةُ بينَها وبَينَ نَفْسِها أَنْ تُعالِجَ الأَميرةَ وتَشْفيَهَا منْ شِدَّة طَبْعها ؛ وتُعالجَها منْ شَراسَتها ، وتُهذِّبَ اعْوجاجَها منْ حَيثُ لا يشعُرُ السلطانُ .

أَخَذت الْحُوريَّةُ تَبْحَثُ فى كُلِّ جِهَةٍ من المدِينَةِ عَنْ فتاةٍ تُشْبِهُ الأَميرةَ فى شكلِها وسِنِّها .وطولِها ولَوْنِها وملامِحِها . وفى النِّهايةِ وجَدَتْ فتاةً فقيرةً . تَحْيا حَياةً فقيرةً ، وتَعيشُ عِيشةً قاسِيَةً مُتْعِبَةً ، تُشْبِهُ الأَميرةَ كُلَّ الشَّبهِ . وجهُها كَوَجْهِها . وشَعْرُها كَشعرِها ، وعَيناها كَعينَيْها . وطُولها كَطولها ، وصُورتُها كَصورتِها ، ولا يَنقُصُها إِلَّا أَنْ تَلْبَسَ مَلابِسَ الأَميرةِ ، وجَواهرَ كجواهِرِ الأَميرةِ ، وتظهرَ

بمظهرِ الأميرةِ ، وتَلْبَسَ مَلابِسها ، فلا تَسْتطِيع تمييزهَا منها ، ويَصعُبُ جِدًّا أَنْ تميِّزَ إحْداهُما من الأُخرى.

وكانَت الفتَاةُ الفقيرةُ تعمَلُ فى حانوتِ بائعٍ لِلسَّمَكِ نَهارًا ، تَغسِلُ السَّمكَ وتنظِّفُه ، وتُنظِّفُ الحانوتَ ، وتغسِلُ الأَوَانىَ طولَ الوَقتِ ، وكان الحانوتُ فى الدَّورِ الأَرضىِّ من بيتهِ ، فإذا ما أَقبَلَ اللَّيلُ أَخَذَتْ تعمَلُ فى البيتِ مَساءً وكانَتْ تُضْطَرُّ إلى الْعَملِ كلَّ يومٍ من الفَجْرِ إلى مُنتَصَفِ اللَّيلِ ، ثُمَّ تَذْهَبُ فى نِصْفِ اللَّيل إلى حُجرةٍ ضيِّقة عَلَى السَّطحِ لتنامَ فيها على فِراشٍ غَيرِ مُرِيح ، ومعَ التَّعبِ لَيلًا ونهارًا لَمْ تَجِدْ مَنْ يَعْطِفُ عليها ، أَو يُحْسِنُ مُعامَلتها ؛ فقَدْ كانَ سيِّدُها يَقْسُوعليها ويَظْلِمُها وَيُوَبِّخها فى الحانوتِ لِأَتْفَهِ الأَسبابِ نهارًا ، وسيِّدتُها تَضْربها فى الْبيْتِ إذا ذَهبَت إليها لَيلًا . فكَانَ تاجِرُ السَّمكِ وزوْجَتُه يُسِيئانِ مُعامَلَتها ، ولا

يُشْفِقان عليها ، ولا يُفكِّران فى راحتِها ، ولا يُعطيانها ما يَكفيها منَ الطَّعامِ . مع أنها كانتْ مُخْلِصةً فى عَمَلِها ، مُجْتهدةً فى أداءِ واجباتِها ، تَبْذلُ ما فى وُسْعِها ، وتَعْمَلُ على إرضاءِ سَيِّدها فى الحانوتِ . وسيِّدتِها فى البيتِ ، وكانَ اسمُ هذهِ الفتاةِ «صابرةَ» ، وهىَ صابرةٌ حَقًّا ، ولهَا من اسمِها نصيبٌ .

وفى لَيلةٍ من اللَّيَالى ذَهَبت الحوريةُ إلى قصْرِ السُّلطانِ والنَّاسُ نِيامٌ ، والقَصرُ هادئٌ ، وكُلٌّ واحِدٍ فى فِراشِه ، وذَهبتْ إلى حجرةِ الأَميرةِ ، وأَخَذَتها من سريرها وهىَ نائمةٌ نَوْماً عَمِيقاً ، وهَرَبتْ بِها إلى شارعٍ قَذِرٍ ضيِّقٍ منَ الأَحياءِ الوَطنيةِ بالعاصِمَة ، حَيْثُ يقعُ حانوتُ بائِع السَّمَكِ فى الدَّورِ الأَرْضىِّ . وفَوْقَهُ بَيْتُه ، وحَمَلت الأَميرةَ وهىَ نائمةٌ ، وصَعِدتْ بها فى سُلَّمٍ ضيِّقٍ بمنزلِ تاجرِ السَّمك ، وذَهبتْ إلى الحجرَةِ العُليا بالسطحِ ، حَيْثُ تنامُ الخادِمُ صابرةُ . فوَجَدتها



الأميرة نائمة على سريرها الجميل فى حجرة نومها ،
والحورية ذاهبة إليها لتأخذها من حجرتها

نائمةً عَلَى حَصير ، فوضعتِ الأَميرةَ على الحصير ، وأَلْبَسَتها ملابسَ الخادم ، وَأَخذَت ملابِسَ الأَميرةِ وأَلْبَسَتهاصابرةَ ،وبِذلكَ لَبِست كلٌّ منهماملابِسَ الأُخرى.

تركت الحوريَّةُ الأَميرةَ سِهامَ فى مكانِ الخادِم صابرةَ وأَخَذَتْ صابرةَ بَعْدَ أَنْ أَلْبَسَتْهَا مَلابِسَ الأَميرةِ ، وحَمَلَتْهَا وَهىَ نَائمةٌ ونَقَلَتهَا إلى القصْرِ السُّلطانىِّ ، ووَضَعَتْهَا عَلَى سَريرِ الأَميرةِ فى حُجْرةِ النَّوْمِ برفقٍ ، حتى لا تَسْتَيْقِظَ ، وَلا يسمعَ أَحَدٌ صَوْتَها ؛ وهُوَ سَريرٌ مُريحٌ ، كانَت الأَميرةُ تنَامُ عَليْهِ. نَامَت صابرةُ لَيْلَتَهَا ، وقدْ شَعَرتْ بِكلِّ راحَةٍ فى هذا السَّريرِ ، فنَامَتْ نَوْماً عَميقاً لا قَلقَ فيه وَلا سَهَر ، وَاسْتمرَّتْ نَائمةً على مخَدَّةٍ حَريريَّةٍ مَحْشُوَّةٍ بالرِّيش ، وَحَلَمَتْ صابرةُ فى تِلكَ اللَّيلةِ أَحْلاماً لَذيذةً سارَّةً ، وحَلمتِ الأَميرةُ وهى نَائمةٌ على الْحَصيرِ فى الْحُجْرة الضَّيِّقةِ بأَعْلى السَّطحِ أَحْلاماً مُتعِبةً مُزعجةً. فسُبحانَ



استيقظت الأميرة فوجدت نفسها تلبس ملابس الفقراء ، وهي في حيرة ،
ووقف صاحب حانوت السمك بالباب يناديها

مَن يُغيِّرُ الأَحْوالَ . وَلا يَتغَيَّرُ .

اَسْتَيقظتِ الأَميرةُ فى الصَّباحِ التَّالى . فوَجَدتْ نَفْسَها تَلبَسُ مَلابسَ باليَةً قَديمةً . ووَجَدَتْ تَحتها حَصيرًا ، ورأَتْ نَفْسها فى حُجْرةٍ ضَيِّقة قَذِرةٍ غَيْر حُجرتها ، فَنظَرَتْ حَوْلها . فوَجَدتْ جوًّا غَيْرَ الجوِّ ، وبيئةً غَيْرَ البيئةِ . لا أَثَاثَ وَلا جَمالَ . وَلا تنسيقَ وَلا ترتيبَ . وبَدأَتْ تَعْجَبُ وَتَسْأَلُ نفْسَها : أَيْنَ أَنَا ؟ وَفى أَىِّ مكانٍ أَنَا ؟ فَظنَّت أَنها فى حُلْمٍ . وَلٰكنَّهُ حُلْمٌ مُزْعجٌ مؤلم غَيْرُ سارٍّ ؛ وَغَيْرُ لذيذٍ . أَرادَت أَن تلبَسَ ، فَلَمْ تجدْ ملابسها الحريريَّةَ المعتَادَةَ . وَلَم تَرَ بجانبها سِوَى الْمَلابسِ الْقَذِرةِ التى كانَتْ تَلبَسُها صابرةً فى حانوتِ بائِع السَّمَك .

فانزعَجَتِ الأَميرةُ انزعاجاً شَديداً . وَشَعرتْ شُعُوراً غَريباً ، وبَدَأَتْ تَصيحُ بغَضَبٍ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُها وَانْفعالها ، وأَخَذَتْ تَضْرِبُ الأَرضَ بيَدَيْهَا ورِجْليها . كعَادَتِها الأُولى.

وَتَرَدَّدَت الأَميرَةُ أَنْ تَلبَسَ تلْكَ الملابِسَ الْبَالِيَة الْقَذِرَةَ الَّتى بجانبها ، وَسَمِعَتْ رَجُلاً ـ هُوَ تَاجِرُ السَّمَكِ ـ يُنَادِى وَيَضْرُقُ الْبَابَ ؛ لِمَعْرِفَةِ السَّبَبِ فى تأَخُّرِها فى النُّزُولِ إلى الحانُوتِ الْيَوْمَ ، وَالسَّبَبِ فى عَدمِ إعْدادِ طَعَامِ الإِفْطَارِ .

فأَجابَتْ : إِنِّى لا أَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ ؛ لِأَنِّى لا أَجِدُ بجَانبِى إِلَّا مَلابِسَ باليةً ، وَمَلابِسَ قَذِرَةً ، لا تَصْلُحُ لِأَنْ يَلْبَسَها السَّائِلُونَ وَالشَّحَّاذون .

فَقَالَ لَهَا بائِعُ السَّمكِ : إِذا لَمْ تَنزِلى بَعْدَ دَقيقَتَيْنِ أَحْضَرْتُ لَكِ الْعَصَا ، وَضَرَبْتُكِ ضَرْباً مُبَرِّحاً شَديدًا . فَوَقَفَت الأَميرةُ بَعْدَأَنْ كانَتْ جالِسَةً ، تَعْجَبُ لِحَالِها . وَتُفكِّرُ فى أَمْرِها . وَتركتِ الْحَصير ، وَلَبِسَتْ بِسُرْعَةٍ ما وَجَدَتْهُ مِنَ الْخِرَقِ الْبَالِيَةِ ، وَالملابِسِ الْقَذِرَةِ خَوْفاً مِنْ ضَرْبِ الْعَصَا .

وَلَمْ تُصَدِّقْ أَنَّها فى عالَمِ الْحَقيقَةِ ، وَظَنَّت أَنها

فى عالَمِ الْخَيَالِ وَالأَحلامِ ، وتَرَكت الْحُجْرَةَ ، فَرَأَتْ سُلَّماً لَم تَرَهُ مِنْ قَبلُ ، وَنزلَتْ حَتَّى وَصَلَتْ إِلى حُجْرة فى الدَّوْرِ الأَرْضِىِّ خَلْفَ حانوتِ السَّمَك ، وَأَخَذَتْ تَنظُرُ حَوْلَها ، فَوَجَدتْ كُلَّ شَىْءٍ قَذِرًا قَبيحَ الْمَنْظَرِ لَمْ تَعْتَدْ رُؤْيتَهُ مِنْ قبْلُ وَعَجبَتْ كُلَّ الْعَجَبِ وَحارَتْ فى أَمْرِها ، وَاَشْتَدَّتْ حَيْرَتُهَا ، وَلَمْ تَسْتطِعْ أَنْ تُفسِّرَ هٰذا اللُّغْزَ ، وَهٰذهِ الْمُشْكِلةَ . وَلا تَدْرِى أَينَ هِىَ . وقَدْ كانَتْ فى اللَّيْلةِ الماضِيةِ فى حُجْرتها الْخَاصَّةِ بالْقَصْرِ السُّلْطانىِّ . وَفى بِيئَةٍ سُلْطانيَّةٍ تَخْتلِفُ عَنْ هٰذهِ الْبِيئَةِ كُلَّ الاِخْتلافِ وَلَمْ تَجِدْ عِنْدَها مِنَ الوَقْتِ ما يَسْمَحُ لَهَا بالتَّفكيرِ فِيمَنْ أَوْجَدَها فى هٰذا الْمكانِ الوَضيعِ ، وتلْكَ الْبِيئةِ الْقَذِرَةِ . فصاحِبُ الْبيْتِ يُنَادِيهَا بِصَوْتٍ مُزْعِج ، وَيَسْأَلُهَا : أَيْنَ الْقَهْوَةُ ؟ أَيْنَ الطَّعَامُ ؟ وَيُهَدِّدُها بالضَّرْبِ لتأَخُّرِها فى النَّوْمِ ، وَتأَخُّرِها فى النُّزُولِ ، وَتأَخُّرِها فى إِعْدادِ

الْفطُورِ ، عَن الوَقتِ الْمُعتَادِ كلَّ يَوْمٍ .

لَمْ تَدْرِ الأَميرةُ سِهامُ كيفَ تعْمَلُ القهوةَ ، أَوْ كيفَ تُعِدُّ الإفطارَ ؛ فهِىَ لمْ تعْتَدِ العَمَلَ ، وَلَمْ تتعَوَّدْ عملَ القهوةِ ، ولمْ تَشْتَرِكْ فى إعداد طعَامٍ أَوْ شرابٍ . وحارَتْ فى أَمْرِها ، ولمْ تَدْرِ ماذا تفْعَلُ . وقد ذهبتْ لِعَمَلِ القهوةِ ، ووَضَعت الماءَ يَغلى فوقَ الموْقِدِ ، وتركتْه يغَلِى حتى فارت القهوةُ على الموْقدِ ، وَتبخَّرَ ما بقِىَ منْها من كثْرَةَ الغَلَيَانِ ، وَلَمْ يبْقَ منها شىءٌ . وَهنا حضرَ صاحبُ البيْتِ ، وَمعهُ عَصاً غليظةٌ لِيَضرِبَهَا بها ، وأَخذَ يُهدِّدُها ويُشِيرُ إليها بالعَصَا ، ويقولُ لها : كيفَ تَجسُرينَ على إتلافِ القهوةِ بهذِهِ الطريقةِ ؟

لمْ تعْتَد الأَميرةُ أَن تُخاطَبَ بهذِهِ اللهْجَةِ ، وهذه اللغةِ ، ولمْ تعتدِ اْستِماعَ هذه الأَلْفاظِ ، وهذا التهديدِ ، وهذه الطَّريقة ، وهذِهِ المعاملة . ولمْ يُهدِّدْها أحدٌ بالضربِ من قَبْلُ ، ولمْ ترَ هذه العَصَا إلَّا الْيَوْمَ .

فصاحَتْ فى وجْهِهِ مُحْتجَّةً أَشَدَّ الاحْتِجاج ، غاضِبةً أَشدَّ الغضَب : «إنِّى لن أَقومَ بهذا العملِ القذر» . ولمْ تكدْ تتفوَّهُ بهذهِ الجملةِ ، وتنطِقُ بهذا الكلامِ حتى وجدَت العَصَا تنزِلَ عليْها وعلى كَتِفيْهَا عِدَّةَ مراتٍ بشكلٍ قاسٍ غيْرِ مَأْلوفٍ ، لمْ تَعْتَدْهُ من قبلُ ، وبطريقةٍ وَحْشيَّةٍ لمْ تَرَها قبلَ اليَوْمِ .

وقد رأَت الأَميرةُ أَنه لا فائدةَ من المعارضةِ . وَلا فائدةَ من الاحتجاج ، ولا بُدَّ أَن تُطيعَ سيِّدَها الجديدَ بائِعَ السمَكِ ، وتعمَلَ كلَّ ما تُؤْمرُ به . وإِلَّا ضُربتْ ضرباً مُبَرِّحاً شديدًا بلا رأْفةٍ ولا رحمة ؛ وعوقبتْ عِقاباً شديدًا لِعِصْيانها وكسلِها . واضطُرتْ إلى أَن تعملَ على خِلافِ عادَتِها . ووجَدَتْ أَمامَها عملًا كثيرًا تُطالَبُ به ، عَمَلًا لا نهايةَ لهُ ؛ فَهُناكَ بلاطٌ يجبُ أَن يُمْسَحَ ، وبَيْتٌ يجبُ أَن يُرتَّبَ . ومَطْعَمٌ يجبُ أَن يُنَظَّفَ . وهُناكَ آنيَةٌ تُغْسَلُ وتُجَفَّفُ ، وسَمكٌ

يُنَظَّفُ ويُعَدُّ ، وطعامٌ يُطبخُ ؛ وأُناسٌ يأكلونَ بمطعمِ السمكِ يَجِبُ أن يُخدَموا ، ويُقدَّمَ لهم من الطعامِ ما يُحِبُّونَ ، ومن الماءِ ما يُريدونَ . وأُناسٌ ينتهونَ من الطعامِ فتؤخذُ الآنيةُ التى أكلوا فيها وشربُوا إلى المطْبَخِ لِتُنَظَّفَ . ولهذا كانت الأَميرةُ سِهامُ تجدُ عَمَلًا مُسْتمرًّا من الفَجرِ حينما تستيقِظُ إلى مُنتصَفِ الليلِ حينما تذهبُ لتنامَ على الحصير فى حُجرتِها الضَّيِّقةِ المتواضِعةِ فى سَطح المنزل فكانَ لَدَيْها عَمَلٌ مُتَواصِلٌ فى كلِّ لحظَةٍ طولَ النَّهارِ ومُعْظَمَ اللَّيلِ .

وأصبحتْ سِهامُ تَفْهمُ أَنها مُطالَبةٌ بالعملِ ، مسئولةٌ عنه من الفَجرِ إلى مُنْتصَفِ الليلِ ؛ فاضطُرَّتْ إلى أن تعمَلَ ، وبدأَتْ تعتادُ الْعَمَلَ ، واجتهدتْ أَن تعمَلَ على قَدْرِ معْرِفتها واستطاعَتِها . ولكنها لمْ تُجِد العملَ فى البدءِ لأَنها جديدةٌ ، ولم تعتدْهُ من قبلُ ، فَكانَ بائعُ السَّمَكِ يَضرِبها من وقت لآخَرَ بالعَصالِبُطئها

وتأخُّرِها فى لعمل حيناً ، وعدمِ إجادتها العملَ أحياناً .

وكانَتْ تُسَرُّ كلَّ السُّرورِ حِينما ينتَهى النَّهارُ ، وَينقضِى النصفُ الأَولُ من الليل ؛ لِأَنَّها ستذهبُ إلى فراشِها فى حُجرتِها بأَعلى المنزِلِ لتنامَ على حَصيرِها ، وتَسْتَرِيحَ من شِدَّةِ التَّعبِ ، وكثرَةَ العَملِ ، والْخِدْمَةِ طولَ الوَقْتِ . وهىَ راحةٌ على أىِّ حالٍ ، ولو كانتْ على حَصيرٍ . فنى النَّوْم بعد التعبِ راحةٌ لها بعد عملها الشَّاقِّ المُسْتمرّ . وفى النَّوْم تستطيعُ أن تخلُوَ إلى نفسِها ، وتُفَكِّرَ فى ماضِيها وحاضِرِها ، وتُوازِنَ بينَ حاضِرِها المُتعِب وماضيها السَّعيدِ ، وتتذكَّرَ كَيْف كانت تقْسو على الخدمِ ، وتُسىءُ مُعاملتَهمُ ، وتَشْتِمهُم بدونِ سببٍ ، وتضربهُم بِغيرِ سَببٍ ، وكيفَ كانتْ تغضَبُ ويَشْتدُّ غضبُها لأَقلِّ سَبَب ، ولِأَتْفَه سَبب ، فتبكى لِحالها ، ثمَّ تَسْتَسْلِمُ فى النهاية إلى النَّوْم .

وقد تذكَّرَت الأَميرةُ سوءَ مُعاملتِها لِلخَدم ، وقسْوتَها على الفُقَراءِ ، ونَدِمَتْ على ما فعلتْ ، وَعزَمَتْ على أَلَّا تَعُودَ ، وعاهَدَتْ نَفْسها ، أَلَّا تُسِيءَ ثانيةً إلى أَحدٍ من الخدَمِ والفقراءِ ، ولا تقْسُوَ فى مُعامَلَتهم ، وَلا تَظْلمَهُمْ ، ولا تضرِبهُم ، ولا تمَسّ أَحدًا منهم بسوءٍ أَوْ أَذًى . وقد شَعَرَت الآنَ بما يَشْعرُ به الفقراءُ والمساكينُ ، وأَحَسَّتْ بما يُحِسُّون ، وَعرفتْ كيفَ يعيشون فى بيوتِهِمْ ، وكيفَ ينامونَ ، وكيفَ يُعامَلونَ فى هذه الحياةِ الظَّالِمة ، وفهِمَتْ أَنهُمْ لا يجدُونَ من الطَّعامِ الصِّحِّى ما يَكْفِيهمْ ، وأَنهم يَعملون كثيرًا ، ولا يَجِدُونَ من الأَجْرِ إلَّا قليلًا ، ولا يجدُون الوقتَ الكافىَ لِلرَّاحةِ والنَّوْمِ بَعْدَ العملِ الشَّاقِّ المستمرِّ طولَ لنهارِ وجُزءًا كبيرًا من الليل . وعَرفتْ حقَّ المعرفَةِ الفقرَ وقسْوَتَهُ ، والحاجةَ وأَثَرها ، والفُقَراءَ وكيفَ يُعامَلونَ ، وكيفَ ينبغى أَن يُعاملوا ،

وكيفَ يعيشونَ ، وكيف ينبغى أَن يعيشوا . وشَعَرَتْ شُعورًا صادقًا أَنَّه يكفى ما يشعرون به من الحاجةِ والفقرِ ، وضيقِ المعيشةِ ، وسوءِ المَسْكَنِ ، ورَداءةِ المَلْبَسِ ، وسوءِ التَّغذيةِ ، وقِلَّةِ الطعامِ . وقذارَةِ البيئَة ، والمَتاعِبِ الكثيرةِ فى العَيْش والحياةِ .

تذكرَتْ سِهامُ أَنها كانت شَرِسةً ، حادَّةَ الطبْعِ ، عَصبِيَّةَ المِزاج ، سريعةَ التَّأَثُّرُ لِأَقلِّ شىءٍ ، ولغيرِ سبب ، وشعَرتْ بأَنها لم تُؤْلم الخدمَ وحدَهم ، بلْ آلمَتْ أَباها ، وضايقَتْهُ كثيرًا ، مع أَنه كانَ يُحِبُّها كلَّ الحبِّ ، ويَعْطِفُ عليها كلَّ العطفِ ، ويُفكِّرُ فى أُمورِها دائِماً . وقدْ ندمَتْ على هذا كلِّه نَدَماً كثيرًا ، وعزَمَتْ على أَلَّا تعودَ إلى شَراستِها ، وحِدَّةِ طبعِها ، وسُرعة تأَثُّرِها ، وسوءِ خُلُقِها ، وعَزَمَتْ على أَن تعطِفَ على الفقراءِ والمساكينِ والمظلومينَ ، ولا تظلمَ مخلوقاً ، ولا تُسىءَ إلى إنسانٍ أَوْ حَيوان ،

أو طَائرٍ . وصَمَّمَتْ على أن تعمَلَ لإرْضاءِ أبيها وإراحَتِه وإطَاعَتِه . حتى يكونَ راضِياً عنها ، وتتحلّى بأحْسَن الأخلاقِ والآدابِ ؛ وتكون خيرَ مَثل للفتيَاتِ فى التربيةِ والتهذيبِ والكمالِ إذَا رضِىَ اللهُ عنها . وأرْجَع إليها حياتَها الأولى ، حياةَ السعادَةِ والنعيمِ . حياةَ القصورِ والسّلاطينِ .

(٢)

وفى الوَقتِ الذى وجَدَت الأميرةُ نفْسها فى حُجرةٍ ضيقَة خاليةٍ من الأثاث على سَطح المنزلِ ، وَجَدَتْ صابرةُ الخادمُ الفقيرةُ نفْسها – حينما استيقَظَتْ فى الصباحِ – نائمةً على سَريرٍ ذهَبىٍّ مُرَصّعٍ باللآلئ ، مفروش بالحرير ، وَتحتَ رَأْسِها مِخَدّةٌ من الرِّيشِ المغطَّى بالحريرِ ، فى حُجرةٍ واسعةٍ صحيّةٍ للنَّوْمِ ، أثَاثُها جميلٌ بديعٌ . وستَائرُها حريريَّةٌ جميلة مُلائمةٌ لِلَوْن الْحُجْرةِ والأثاثِ ، وبهَا جميعُ وسَائلِ الرَّاحةِ .

وكلُّ شيءٍ فيها يَدُلُّ على جَمالِ الذَّوْقِ ، وَدِقَّةِ التَّنسيقِ ، وَحُسنِ الاختيارِ ؛ فالأَبسطةُ جميلةٌ ، والصُّوَرُ فَنيَّةٌ بديعةٌ ، وَالذَّوقُ والجمالُ وَالفنُّ تُحيطُ بالْحُجرةِ فى كلِّ جزءٍ من أَجْزائِها . وكلُّ ما فيهَا يدُلُّ على العظمةِ والثروَةِ . وَهُناك فرقٌ كبيرٌ جدًّا بينَ حجرةِ الأَميرةِ فى القصرِ وَالْحُجرةِ الضَّيِّقَةِ المتواضعةِ على السَّطحِ فى منزلِ بائِع السمَكِ ، كالْفَرْقِ بين السماءِ والأَرضِ ، أَو النُّورِ والظُّلمةِ . فكانت صَابرةُ إذا أَقبلَ الصبَاحُ هُناكَ وَجَدت حوْلَها بيئةً كلُّها قذارَةٌ ، وروَائحُ كَريهةٌ غيرُ صحيَّةٍ ، ومتَاعبُ وآلامٌ من الفَجْرِ إلى مُنتَصَفِ الليلِ ، وَاستيْقَظَتْ مُرغَمةً وَهىَ لا تشعُرُ بالرَّاحةِ التَّامَّةِ ، ولا تريدُ أَن تستَيقِظَ لأَنها لم تَنَلْ نصيبَها الكافِىَ منَ النَّوْمِ ، وَلم تجدِ الراحةَ فى نَوْمِها ، وَلكنها راحةٌ على كلِّ حال . أَمَّا هُنَا فإنَّ عينيْها لاتريَانِ إلَّا كلَّ جميلٍ ، فى كلِّ وَقت من الأَوْقاتِ ،

فالْقَصر جميلٌ ، والأَثاثُ جميلٌ ، وَالصُّورُ جميلةٌ ، وَالنِّظامُ جميلٌ ، وَالذوْق جميلٌ ، والْحَدائِقُ جميلةٌ ، وَالمناظرُ سارةٌ . تَسْتيقِظُ مَتَى شاءَتْ ، وَتنامُ مَتَى أَرادَتْ . تَأْكلُ ما تحِبُّ ، وتجِدُ كلَّ ما تطلُبُ . وليْسَ هُنا مَنْ يُرْغِمُها على العَملِ الشّاقِّ المستمِرِّ ، أَو غَيرِ الشّاقِّ .

وبعدَ أَن فتحَتْ صابرةُ عَيْنيْها واسْتيْقظَتْ ، وَجَدَتْ وَصيفَةً تُلبسُها ملابسَ الْحَمّامِ ، وَتأْخُذُها إلى الْحَمّامِ فَتَسْتَحِمُّ ، وتَلبَسُ مَلابِسَها الثّمينةَ ، وَحِذاءَها الجميلَ ، وتقَدِّمُ لها طعاماً لذيذًا لِتُفْطِرَ ، ثمَّ تقصُّ عَليْها بعْضَ القِصصِ السّارَّةِ ، وتذهَبُ مَعَها للرياضةِ فى حَديقةِ القصرِ ، وتلعَبُ بعضَ الأَلْعابِ الَّتى تميلُ إليها .

وجَدَتْ صابرَةُ – بعدَ أَن صبرَتْ طويلًا – أَنَّ الحياةَ هُنا سَهلَةٌ سارّةٌ ، لذيذةٌ جميلةٌ ؛ فالخدَمُ

يخدمُونها ، والوَصيفاتُ ينتَظِرْنَ أوامرَها ، والمرَبِّياتُ لا يفكِّرْنَ إلَّا فى شعورِها ووَسائلِ إراحتِها . وهذا كلُّه حُلمٌ لذيذٌ سارٌّ لدَى صابرةَ الفقيرةِ المِسكينةِ التى لم تشعُرْ بالراحةِ مُنذُ أتتْ إلى هٰذِه الحياةِ . لم تشعُرْ صابرَةُ بالرَّاحةِ إلَّا اليَوْمَ ، ولم تُحِسَّ بالسَّعادةِ إلَّا اللَّيْلةَ الماضيةَ . وَجدَتْ صابرَةُ نفْسها كأنَّها فى حُلْمٍ سارٍّ جميلٍ ، وكأنَّها تَعيشُ فى جنةِ الفِردَوْسِ ، وجنَّةِ النعيمِ ، بعد أن كانتْ تعيشُ فى جَحيمٍ عيشةً قاسيةً لا رحمةَ فيها ولا رأفةَ عند بائعِ السمَكِ القاسى .

ولم تَغْتَرَّ صابرةُ بهٰذِهِ المظاهرِ الجديدةِ ، ولم تَتَغَيَّرْ أَخلاقُها بسببِ الحالةِ الحديثةِ التى طرَأَتْ عليْها . ولم تكُنْ مُتكَبرَةً أو مُتَغطرِسَةً أو شرِسَةً فى مُعامَلةِ الخَدَم والمُرَبيات كالأَميرةِ سِهامَ ، بلْ كانتْ تُعامِلُ كلًّ منْ يتَّصِلُ بها برقَّةٍ وأَدبٍ وعَطف ، وتتكلمُ مع وصيفاتِها بذَوْق ولُطف ، ولم يَشعُرْ أَحدٌ من المتَّصِلاتِ بِها بفَرْقٍ

فى الشكلِ والصُّورةِ وملامحِ الوجْهِ ، ولكنَّهنَّ شعَرْنَ بكثيرٍ من الفَرْقِ فى المعاملةِ والحديثِ والأَخلاقِ ، فبدأَ الْخَدَمُ يتساءَلونَ فيما بينَهُم ، وَيَعْجَبونَ كلَّ العَجَبِ لهذهِ المعامَلةِ : وهٰذهِ الرِّقةِ ، وهٰذا العَطفِ واللُّطفِ ، ويقولونَ : لقد كانت الأَميرةُ على قِسْطٍ كَبيرٍ من التَّكبُّرِ والغطرسةِ والشَّراسَةِ وَحِدَّة الطبعِ ، فماذا حدَثَ ؟ وما الذى غيَّرَها فى المعامَلةِ كلَّ هذا التغييرِ ؟ وماذا جَرَى حَتى أَصْبحتْ فى غايةِ الوَداعةِ والهدوءِ والرِّقةِ والعَطف على الغَيْرِ ؟ شَعرَ الخَدَمُ بفَرْق كبير فى الأَخلاقِ ، ولم يُحِسُّوا فَرْقاً فِى المظاهِرِ الجِسْميَّةِ ، واعتقَدُوا طبْعاً أَنها الأَميرةُ ، وخاطَبوها وَعامَلوها على أَنها أَميرةُ البلادِ ، وقد انتهى عَهدُ التَّحَكُّم والتَّوْبيخ ، والزَّجْر والتعنيفِ ، وحِدَّةِ الطبْعِ والشَّراسَةِ ، وسُرْعةِ الانفعالِ ، ومُطالَبةِ الخَدَمِ بالمُحالِ أَحياناً ، وبالجَرْىِ فى الذَّهابِ وَالجَيْئةِ لتنفيذِ أَوَامرَ غير

مَعقولةٍ ، وغير منطِقيّةٍ فى كَثيرٍ من الأَوْقاتِ . وَبَدَأَ عهْدٌ جديدٌ فيه مُشارَكةٌ للغَيْرِ فى شعورِهِ والتفكيرِ فيهِ ، ومعامَلَتُه كما يُعامَلُ الإنسانُ من غيْر تَحَكُّمٍ، أَوأَمرٍ أَو نَهيٍ ،والتَّحَدثِ مَعَهُ بكلِّ ذَوْقٍوأَدبٍ وعَطف.

كانت الأَميرةُ سِهامُ إذا أَحْضرَ لها أَبوها السُّلطانُ طاقةً من الأَزهارِ الجميلةِ ليُهديَها إليْها فى الصَّباحِ عَبَسَتْ فى وَجههِ وَهىَ تأْخذُها ، ورمَتْها بيَدِها بَعيدًا ، دُونَ أَنْ تقولَ لأَبيها المحِبِّ لها : أَشكُرُ لكَ يا أَبى ، أَوْ ما أَجملَ هذا الوَردَ ، أَو ما أَجملَ هذهِ الأَزهار يا أَبى ! فكانَ يتأَلَّم وَيضبِطُ شعورَه ويسكُتُ ، ويَتغَاضى عن مُعاملتِها الجافَّةِ ، وتصرُّفِها الشَّاذِّ .

وَفى اليَوْمِ التَّالى الذى حَلَّتْ فيه صابرةُ مَحَلَّ الأَميرةِ سِهامَ ، حَضرَ السُّلطانُ كَعادتِه فى الصباحِ ليُحَيِّيَ ابنتَهُ ، وقَدَّمَ إليها طاقةً من الأَزهارِ الجميلةِ ، فأَخذتْها وهىَ مُبتَسِمةٌ ابتسامةً كلُّها إجْلالٌ وتقديرٌ ،



السلطان يهدى إلى ابنته طاقة من لأزهار فى الصباح ، وهى عابسة فى وجهه

وقَدَّمَتْ لهُ أَجْزَلَ الشكْرِ على هَدِيَّتِه الجميلةِ ، وقالتْ لهُ : ما أَجْمَلَ هٰذه الْأَزهارَ ! وما أَجملَ رائحتَها ومنظَرَها ! فسُر السلطانُ سرورًا جمًّا (كثيرًا) ؛ لأَنه لم يَعْتَد هٰذِهِ المعامَلَةَ ، ولم يَسْتَمِعْ هٰذِه اللغةَ وهٰذا الشكْرَ مِن ابنتِه قبْلَ اليوْمِ.

وقدْ مَرَّتِ الْأَيامُ والشُّهورُ حَتى انقَضى عامانِ ، والْأَميرةُ سِهَامُ تعيشُ كما يَعيشُ الخَدمُ . وتُعامَلُ كما يُعَامَلُ الخَدمُ في مَحَلِّ بائعِ السمَكِ ، ولا أَحَدَ يعلمُ مُطلقاً عنْ أَمرِها شيئاً سِوَى الحوريةِ الَّتي أَحْضَرتْها وَنقلتْها وهيَ نائمةٌ . ووَضَعتْها في مكانِ الْخادِمِ على فراشِها .. والْخادمُ صابرةٌ تعيشُ كما تعيشُ الأَميراتُ في قصرِ السُّلطانِ ، وتَحيا كما تَحيا الأَميرةُ ، وتُعامَل كما تُعامَلُ ، ولا أَحدَ مُطلقاً يَعْرف حقيقتَها وشَخصيَّتَها سِوَى الحوريةِ التي حَملَتْها إلى القَصرِ وهيَ نائمةٌ ، ووَضعَتْها في سرير الأَميرةِ ،

وأَلْبَسَتْها ملابِسَها من حَيْثُ لا تُحسُّ ولا تشعُرُ وهىَ فِى شدَّةِ النَّوْمِ . وكانتِ الأُولَى تشعُرُ بالْحُزنِ والعذابِ والتعَبِ والبؤسِ والشَّقاءِ لشَراستِها وَسوءِ أَدَبِها ، رشدَّةِ طبْعِها وسُرْعةِ تأَثُّرِها . والثانيةُ تشعُرُ بالراحَةِ والسعادةِ ، والسرورِ والهناءَةِ . ومَحَبَّةِ الجميعِ لها لأَدَبِها وكمالِها . ورِقَّتِها وذَوْقِها ، وَتفكيرِها فى غيرِها ، وعَطفِها على الفقراءِ والمساكينِ ، ومُشارَكَتِها فى مَسَرَّاتهم وأَحْزانِهِم .

وَفى يومٍ مِن الأَيامِ كانَ السُّلطانُ مارًّا بِعَربَته السُّلطانِيَّةِ تَجُرُّها أَربَعةٌ مِن الْخَيْلِ أَمامَ حانوتِ بائعِ السَّماكِ الَّذِى تَشْتَغِلُ فيه ابنتُهُ الأَميرةُ ، فرَأَتْهُ راكِباً فى العَرَبةِ ، فتركت الحانوتَ ، وخَرجتْ تجرى وَراءَ العَرَبةِ وتُنادِى بأَعْلَى صَوْتِها : « أَبِى ، أَبِى ، أَنا ابنتُك سِهام ، خُذْنى مَعكَ إلى البَيتِ ولَنْ ترنى عابِسَةً أَوْ غاضِبةً . أَوْ حادَّةَ الطَّبعِ أَوْ شَرِسَةً بَعدَ اليوْمِ .

خُذْنى ، وأَعِدُكَ وَعْدًا حقًّا أَنِّى سأَكُونُ مِثالًا لِلأَدَبِ والطاعةِ والكمالِ . أَرْجوكَ وأَتَوَسَّلُ إليكَ أَنْ تَأْخُذَنى مَعكَ ، لِتُنْقِذَنى مِمَّا أَنا فيهِ مِن الجُوعِ والفَقْرِ والتَّعَبِ والْحُزنِ » . لٰكنَّها كانتْ قَذِرةً فى مَظهرِها ، ومَلابِسُها مُمَزَّقةٌ كملابِسِ الْخَدَمِ ، فلَم يَعْرِفْها السلطانُ ، وظَنَّ أَنها فَتاةٌ فَقيرةٌ مِسكينةٌ تَطْلُبُ مِنْه إِحساناً ، فَرَمَى لها جُنيْهاً ، وتركَها . وَسارت العَرَبةُ مُسْرِعةً فى طَريقِها ، حتَّى وَصلَ السُّلطانُ إلى قَصِره .

وقَد رَجَعتِ الأَميرةُ حَزينةً باكِيةً ، وذَهَبتْ إلى حُجرتها الصَّغيرةِ بسَطْحِ المنزِل ، واسْتمرَّتْ تَبْكى بُكاءً مُرًّا ، مُعتقِدةً أَنَّ أَباها قَدْ نَسِيهَا ، وَتبرَّأَ منها لِشَراسَتِها وسُوءِ أَدَبِها ، وأَنها قَدْ حُكِمَ عَليها بأَنْ تقْضىَ بقِيَّةَ حَياتِها فى هٰذه البيئةِ القَذرةِ غيرِ الصحيَّةِ ،عِنْدَ بائِعِ السَّمكِ ، وتَستمِرَّ فى جُوعٍ وفَقْرٍ ومَذَلَّةٍ ، وبُكاءٍ وَشقاءٍ . نامتِ الأَميرةُ على فِراشِها المُتعِبِ بعَدْ أَنْ

بكَتْ ، وَبكَتْ مُدّةً لَيستْ بالْقصيرةِ ، وَتمنّت فى قَرارةِ نَفسِها أَنْ تَمُوتَ وتُفارقَ هٰذه الحياةَ ، ولكنها لَنْ تَمُوتَ حتى تَتوبَ ، وتكُونَ مثلًا عالياً للفتَياتِ فى الأَدبِ والأَخلاقِ .

وكانَت تَقولُ لبائِع السّمكِ مِنْ حِينٍ لآخرَ : إنها أَميرةٌ ، وابنةُ السُّلطانِ ، ولَيسَت بخادمة ، ولا تَدْرى كَيْفَ أَتتْ إلى بَيتِه . فلَم يُصَدِّقْها بائعُ السّمكِ ، وكانَ يَهزَأُ بها ، ويَضْحكُ مِنها ، ويَسْخَرُ بها ، وَيتَهمُها بالْجُنونِ حيناً ، وخَبَل عَقلِها أَحياناً . فتتأَلَّمُ وتَبْكى بغيْرِ فائدةٍ .

وكانتِ الحُوريّةُ تلاحظ على الدّوامِ حالَ الأَميرةِ فى بيْتِ بائعِ السمكِ ، وَحالَ صابرة فى قَصر السلطانِ . وقَدْ سُرّتْ كلَّ السُّرورِ بالنتيجةِ الّتى وَصلَتْ إليْها ؛ فَقدْ هُذِّبَت الأَميرةُ الآنَ خَيْرَ تَهذيب ، وأُدِّبَتْ خَيْرَ تأْدِيب ، هذَّبتْها الحياةُ ، وأَدّبتْها

الظُّرُوفُ القاسِيةُ الّتى وُجدتْ فيها ، وعُولِجَت الأَميرةُ عِلاجاً مُفيدًا ، وتَركَت الحِدَّةَ والشَّراسَةَ وَالتكبُّر وَسُوءَ الأَدَبِ ، وأَصْبحَت مَثلًا عالياً للتَّرْبيةِ والأَدبِ ، وحُسن الْخُلُقِ ، وضَبْطِ النَّفْسِ ، والتَّواضُعِ ، والتفكيرِ فى الغَيْر ، ومُشاركةِ الناسِ فى شُعورِهم. وَصارتْ على قِسْطٍ كَبيرٍ مِن الكمالِ والأَخلاقِ الكريمةِ . وقد استراحتْ صابِرةُ الخادِمُ المسكينةُ مُدَّةً ليستْ بالْقَصيرةِ ، مِنْ قَسوةِ بائِع السمكِ ، وَسُوءِ مُعاملتِه ، وَمتاعِبِ الحياةِ. وأَصْبحَتْ قَوِيَّةَ الجسمِ ، سَليمةَ الصِّحَّة ، قادِرةً على العَملِ الّذى قُدِّرَ لها عِنْدَ بائِع السمكِ . وَقَدْ تحقَّقَت الآنَ رَغْبةُ الْحُوريَّة فى ترْبيةِ الأَميرةِ مِن الناحيةِ الخلقيَّةِ ، وتقويةِ صابرةَ مِنَ الناحيةِ الجسميَّةِ . ولَمْ تُرِد الحوريَّةُ أَنْ تُعاقِبَ الأَميرة أَكْثرَ مِن العِقابِ الّذِى تَحمَّلته ؛ فَقدْ عُوقبتِ العقوبةَ الكافية لِتأْديبِها وتهذيبها ، وظهرَ أَثرُ العقوبةِ ، وَأَصْبحتْ كامِلةً فى

آدابِها وأخلاقِها . وصَمَّمت الحوريةُ على أَنْ تَرُدَّ الأَميرةَ إلى قَصرِها . والخادِمة إلى كُوخِ بائِع السمكِ .

(٣)

وَفى مُنتَصَفِ اللَّيْل ذهبت الحوريَّةُ إلى الأَميرةِ فى حُجرتِها العُليا بالسَّطْح لدَى بائِع السمكِ . ونَظرَت إليْها مِن النافذة : فَوجدتها تَبْكى بُكاءً مُرًّا ، وتندمُ على ما فَعلَتْ فى ماضِيها .

فابتسمَت وقالَتْ لِنفسِها : لَقدْ تابَت الأَميرة ، وهٰذا ما أَردتُ ، وَما قَصَدْت .

انْتظَرَت الحوريَّةُ على السطح حتى نامَتِ الأَميرةُ نَوْماً عَميقاً . ثُمَّ أَخذَتها بينَ ذِراعَيها وحَمَلتْها . وأَعادَتها إلىحُجرتِها فى قَصْرِ أَبيها ؛ فَقدْ تَمَّ شفاؤها . وتحقَّقَ عِلاجُها ، وَصارتْ كامِلةً لا عَيْبَ فيها . ووَضَعتْها على سَريرِها . وَأَلْبستْها ملابِسَها الأُولى مِنْ حيْثُ لا تشعُرُ .

وفى الوقتِ نَفسهِ نَظرَت إلى صابرةَ وهىَ نائمةٌ ، سرت كَثيرًا بِصِحَّتِها وقُوَّتِها ، وقُدْرتِها على العَمل الآنَ ؛ فللراحةِ ، وجَوْدةِ الطَّعام ، وحُسنِ النِّظام فى حَياتِها الأخيرةِ ، كَبِرَت وقَوِيَت ، وتحسنتْ صِحَّتُها ، فألبستْها مَلابسهَا القديمة ، وحَمَلتْها ونَقلتْها وَهىَ نائمةٌ إلى حُجرتها بالسطوح فى مَنْزل بائِع السَّمكِ .

أَقبلَ الصباحُ ، وطلعتِ الشمسُ، فوَجدت الأَميرةُ نَفْسها ثانيةً فى حُجرتِها الخاصَّة بالْقَصر . وبجانبها مَلابُسها الثَّمينة لِتلبسهَا ، وحِذاؤُها الجميلُ لِتلبَسَه .

ولَمْ تَجدْ عَمَلًا شاقًّا يَنْتظِرُها أَوْ يُنتَظَرُ مِنها . وظَنتْ أَنَّ حَياتَها فى السنَتيْن الماضِيَتَيْنِ عِنْدَ بائِع السمكِ حُلْمٌ مِن الأَحلامِ الْمُزعجةِ الْمُؤْلِمةِ الَّتى لاتسُرُّ . وسواءٌ أَكانت هٰذه الْحياةُ حُلْماً مِن الأَحلامِ أَمْ حقيقةً مِن الْحَقائق ،فقدْ علَّمَتْها كَثيرًا عَن العالَمِ والحَياةِ الْحَقَّةِ .

علَّمتْها كَيْفَ تحترِمُ أَباها وتُجِلُّه (تُعظِّمُه)، وكَيف تُحْسِن مُعامَلَةَ الْفُقراءِ، وتحِسُّ إِحساسَهم، وتُشارِكُهم شُعورَهم، وكَيفَ تَعطِفُ على الْخَدَمِ، وَتَشْعُرُ بأَنهُمْ يُحِسُّونَ ويَشْعُرُونَ ويَتأَلَّمونَ، كما يُحِسُّ الإِنسانُ ويَشْعُرُ. ويجبُ أَنْ يُعامَلوا بكلِّ عطْفٍ وَشفَقَةٍ كما يُعامَلُ الإِنسانُ.

علَّمتْها هٰذه الْحياةُ كَيفَ تتحدَّثُ معَ غيْرِها، وكيفَ تكونُ مُؤَدَّبةً فى حَديثِها وسُؤَالِها وجَوابِها. وقَدْ صمَّمتْ فى نفسِها على أَلَّا تَغْضَب ولا تَحتَدَّ ولا تَسْتَبِدَّ، وَلا تشْتِمَ أَحدًا، ولا تُسِىءَ إلى إِنسان بعدَ الْيَومِ.

وَفى يَومٍ مِن الأَيامِ جَلستِ الأَميرة، وأَخذَت تُفكِّرُ فى الْحُلْمِ الْغريبِ الذِى حَلَمتْه، والرُّؤْيا الغريبةِ الَّتى رَأَتْها. وبدَأَت تَسْأَلُ نَفسَها: هَلْ هُناكَ حقًّا حانوتٌ لِبيْعِ السمكِ كالحانوتِ الَّذِى

حَلَمَتْ به ، واشتغلَتْ فيه ؛ وَعاشَتْ فى بيْتِ صاحِبه على السَّطح مُدَّةً طويلةً عِيشةً قاسِيَةً مُؤْلِمةً ؟ وقَدْ صَمَّمت فى نَفسِها على أَنْ تَبْحَثَ عَنْ هٰذا الحانوتِ ، وعَنْ بائِع السمكِ . فأَمَرَت السائسَ بإعدادِ العَربةِ ، لِتأْخذَها وتخرُجَ فيها بَعدَ الظهْر .

خَرجَت الأَميرةُ بَعدَ الظُّهرِ ، وطافَت حَولَ جَميعِ أنحاءِ المَدِينةِ وشَوارعِها تقريباً ، لِتبحثَ عنْ مَطْعمِ بائِع السَّمكِ . واسْتمَرَّت تبْحَثُ عنْه مُدَّةً طَويلَة ، فَلمْ تجِدْ هٰذا المَطعمَ . وكادَتْ تَيْأَسُ منَ العُثورِ عَليْه . وفكَّرَت فى العَوْدةِ بِعَرَبتِها إلى القَصرِ . وفى تِلكَ اللَّحْظَةِ اتَّجهتْ إلى شارعٍ خَلفِيٍّ من الشوارعِ الضَّيِّقَةِ ، فَرَأَتْ حانوتاً صَغيراً هُوَ حانوتُ بائِع السمَكِ ، فَنظرَتْ إلَيهِ حَتى تَأَكَّدتْ أَنَّه هوَ الذى حَلمتْ به فى حُلمها . وحينما نظرَت إلَيه تألمتْ وارْتعدت ، وأَصابتْها رِعْدةٌ شدِيدةٌ ، فَنزَلتْ منَ



الأميرة راكبة العربة ، وقد وقفت أمام المطعم ، ورأت الفتاة
التي تشبهها في صورتها ووجهها

العربةِ ، وذهبتْ إلى النَّافِذَةِ ، لِتتأكَّدَ مرَّةً أُخْرَى مِن الحانُوتِ ، وتتحققَ منْه ، وتتثبتَ . وقالَتْ : نعم هٰذا هوَ الحانوتُ عَينُه . ولا شك فى ذٰلكَ . وقدْ رَأَتْ داخِلَ الحانُوتِ فَتاةً مِثلَها تَماماً فى وَجهِها وطولِها ، وصورتِها وشَكْلِها ومَلامِحها ، لا يَستطيعُ أحدٌ أنْ يُمَيِّزَ إحْداهُما مِن الأُخرَى . وشاهَدتْ هٰذه الفتاةَ تلبسُ الملابِسَ المُمَزَّقةَ البالِيَةَ التى كانتْ تَلْبَسُها الأَميرةُ نَفسُها فى حَياتها الَّتى حلَمتْ بها ، وَعَدَّتها حُلماً مِنَ الأَحْلامِ ، وقد كانت حقيقةً من الحقائقِ .

دَخلَت الأَميرة الحانوتَ ، وتَكلَّمتْ مَع هٰذه الفتاةِ التى تُشْبِهُها كلَّ الشَّبَهِ ، فرَأَتها حَزينةً ، مَشغُولةَ البالِ ، قَلِقةَ الفِكْرِ ، مُتعَبةَ الجسمِ . وَقالتْ لها : أَرْجو أَنْ تُخبِريني عن المُدَّةِ التى مَكَثتها بهٰذا المَكانِ.

فأَجابتها صابِرَةُ : آه يا سَيِّدتى ؛ لَقد عِشْتُ هُنا

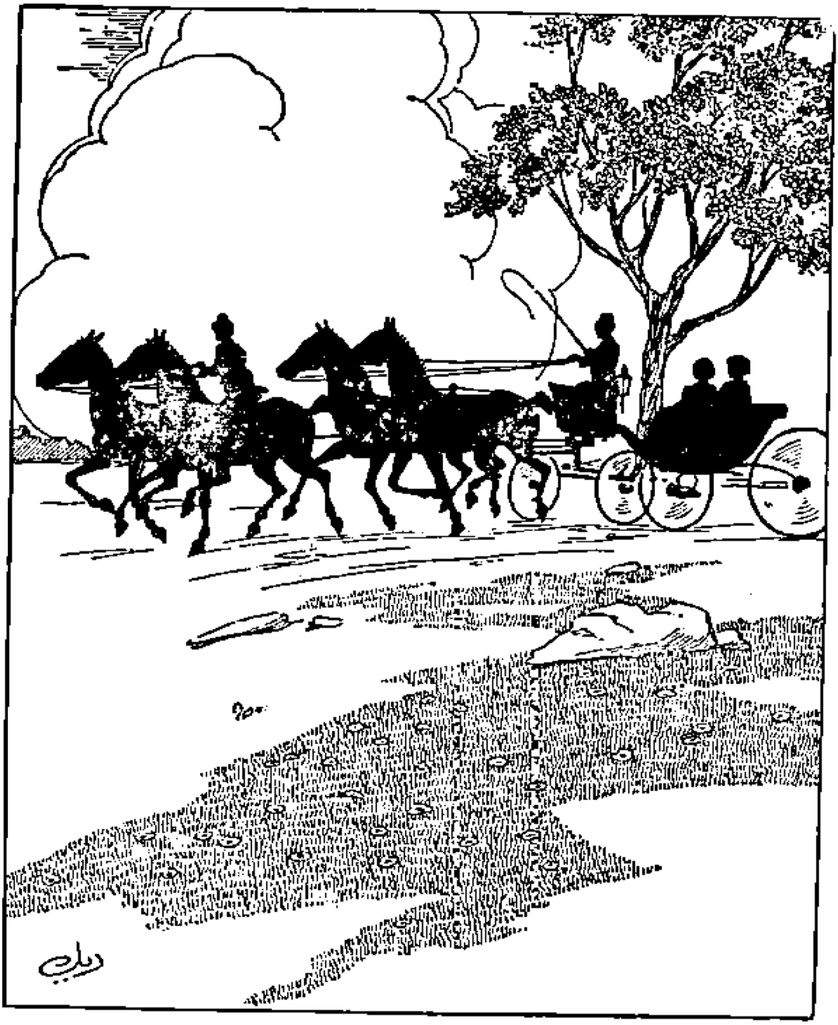
مُعْظَمَ حَياتى ولَمْ أَترُكْ هذا المكانَ إلّا مُدَّةً قصيرةً ، وهِىَ سَنَتانِ عِشت فيهما عِيشة سَعيدةً هانِئة سارَّةً جَميلةً ، لَمْ أَشْعُرْ فيهما بِتعَبٍ ، ولم أُحِسّ فيهما بِأَلَمٍ . وأتَمنَّى أَنْ تَعودَ تلكَ الأَيامُ ثانِيةً ؛ فَفِى هاتَينِ السَّنتَيْن قدْ عِشْتُ فى القَصرِ السُّلطانىِّ ، وكُنتُ أُعامَلُ كما تُعامَلُ أَميرةٌ من الأَميراتِ . وإِنِّى مُضْطرَّةٌ لِأَنْ أَظُنَّ أَنَّ هذه المدةَ كانتْ كحُلْمٍ لَذيذٍ سارٍّ . وقدْ رأَيتُ نَفسِى فى هذا المكانِ بَعدَ انقِضاءِ السَّنتَينِ السَّعيدتَينِ . وانتِهاءِ هذا الْحُلمِ الجَميل ، أَعْملُ ثانيةً عَملًا شاقًّا لا يَنقطِعُ مِن الفجْرِ إلى مُنتصَفِ اللَّيلِ ، وأَلْبَسُ خِرَقاً بالِيةً ، وآكُل فَضلاتِ الطعامِ ، وأَنام على حصير فى حُجرةٍ ضَيِّقةٍ قَذِرةٍ ، وأُعامَل مُعاملَة وَحْشِيَّةً قاسيَةً تَتَبَرَّأُ مِنها الإِنسانيَّةُ ، هكذا يا سَيِّدتى يَعيشُ الفُقراءُ اليَوْمَ مَع الأَسَفِ الشَّديدِ ، ويَحيَوْنَ حَياةً بَعيدةً عنِ الحياةِ . يَعْمَلونَ كَثيرًا ولا يَجدون من الأَجْرِ إلا قليلًا . ولا

يَشعُرونَ بِشَىْءٍ مِن الرَّاحةِ فى هٰذه الحياةِ .

تَـألَّمت الأميرةُ كُلَّ الألَـمِ لِحالِ صابِرَةَ ، وحَزِنـتْ لِحُزنِها ، وشَعَرتْ شُعورَها ، وأَخذتْ يَدَها ، وقالتْ لها : إنَّكِ لَنْ تَعملى يا أُختى هٰذا الْعَملَ الْقاسىَ بعْدَ اليَوْمِ ، مِن الفَجْرِ إلى مُنتصَفِ اللَّيلِ . وأَشعُرُ حَقًّا بِما تُقاسِينَه فى حَياتِك منْ تَعبٍ ؛ فَقدْ جَرَّبتُ هٰذه الحياةَ مِن قَبلُ . وشَعرتُ بالتَّعبِ كما تَشْعرينَ ، وأَحْسَسْتُ بِما تحِسِّينَ . وأَرجو أَنْ تَـأْتى مَعى إلى القَصْرِ ؛ لِنَعيشَ مَعاً ، وتكونى أُختًا وصَديقَةً ورَفيقةً لى فى هٰذه الْحَياةِ ؛ لِأَنِّى أَشعُرُ بِالْوَحْدةِ ، ولا أُخْتَ لى.

أَخَذت الأَميرةُ صابِرَةَ معها إلى العَرَبة ، بعْدَ أَن اسْتَأْذَنَتْ صاحِبَ الْحانوتِ فى أَخْذِها . وَأَرْكَبَتْها مَعها ، ورَجعَت إلى القَصْرِ السُّلطانىِّ .

اتَّخذَت الأَميرةُ صابِرَةَ صَديقةً لَها ، ورَفيقَةً فى حَياتِها ، تُبادِلُها الوَفاءَ والمحَبَّةَ وَالإخلاصَ ، وَتُفكِّرُ



الأميرة وصديقتها وهما راكبتان معاً عربة تجرها أربعة من الخيل

فيها كما تُفَكِّرُ فى نَفسِها ، وتعيشُ مَعها عِيشةَ أُخْتٍ عَزيزة عَلَيها .

اِشْتَرَكَت الأَميرةُ وصابرَةُ فى الْعَمَلِ واللَّعِبِ والْحَياةِ ، فَكانَتَا تَعْمَلانِ مَعاً ، وتَلْعَبانِ مَعاً ، وَتَأْكُلان مَعاً ، وتَخْرُجانِ مَعاً . واشتَرَكَتا مَعاً فى الْأَعمالِ الخَيْرِيةِ ، والمشروعاتِ الإِنْسانيةِ ، والإِصْلاحاتِ الاجْتِماعيَّة ، والعَملِ على إسعادِ الفُقراءِ والمَساكين ، وإدخالِ السُّرورِ فى نُفوسِهمْ ، وخاصَّةً الفَتَياتِ الفَقيراتِ ، والأَرامِلَ والعَجائزَ وفاقِداتِ الْبَصَرِ . وفَكَّرَتَا فى إنشاءِ مَدَارِس لِتعليمِ الْبَناتِ الفقيراتِ ، ومَلاجِئَ لإِيواءِ اليَتيماتِ ، ومُعالَجَةِ المَريضاتِ ؛ ليَكُنَّ سَعيداتٍ ، ويَتَمتَّعْنَ بِشَىْءٍ مِن الحياةِ ، ومَسَرَّاتِها ومَلَذَّاتِها .

عاشَتِ الأَميرةُ وصَديقَتُها لِلإِنسانيَّةِ ، وكانَتا خَيْرَ مثَلٍ لِلْفَتَياتِ المُهذَّباتِ الكامِلاتِ . ونَظَرَتَا إلى الْفقراءِ

والمساكين نَظْرَةً كلُّها عَطفٌ وشَفَقةٌ ، ورَأفَةٌ ورَحْمةٌ .

وفى النِّهايةِ اعْتَقَدَتِ الأَميرَةُ أَنَّ الحياةَ يجبُ أَن تُملأَ بالْعَمَلِ ، وأَنَّ الْعَملَ هُوَ الحيَاةُ ، وأَنَّ السَّعادةَ يَجبُ أَن تُشْتَرَى ، ولا بُدلَهَا مِنْ ثَمن ، ولا ثَمنَ لها إِلَّا تَحَمُّلُ المتَاعِب والآلامِ . ولَيْسَتِ السَّعادةُ فى الثَّرْوةِ والْمَالِ ، ولٰكِنَّ السَّعادةَ فى بِرِّ الوَالِدَينِ وإِطاعَتِهِما ، والعَطفِ على الْفقراءِ والمساكِينِ ، ومُشاركَتِهم فى شُعورهم ، ومَسَرَّاتِهم وأَحْزانِهِم ، وتَرْكِ حُبِّ النفس ، وعَمَلِ الخيْرِ دائماً للهِ ، وَفى سَبيل اللهِ .

أسئلة فى القصة :

(١) كيفَ كانت الأميرة تعامى أباها ؟ وكيف كان أبوها يعاملها ؟

(٢) بماذا كان يشعر أبوها نحوها بعد وفاة أمها ؟

(٣) كيف كانت تعامل الخدم والوصيفات فى الأول ؟

(٤) ماذا فعلت الحورية لعلاجها ؟

(٥) من هى صابرة ؟ وكيف كانت تعيش ؟

(٦) كيف عولجت الأميرة ؟ وكيف هذبت أخلاقها ؟

(٧) بماذا شعرت حينما وجدت نفسها فى بيت بائع السمك ؟

(٨) كيف كان يعاملها بائع السمك ؟

(٩) بماذا شعرت صابرة حينما وجدت نفسها فى القصر ؟

(١٠) كيفَ كانت صابرة تعامل الخدم فى القصر ؟

(١١) بماذا شعر الخدم حينما وجدوا المعاملة قد تغيرت ؟

(١٢) لماذا لم يستطع الخدم تمييز صابرة من الأميرة ؟

(١٣) ما الدروس التى تعلمتها الأميرة عند بائع السمك ؟

(١٤) هل استفادت صابرة من وجودها بالقصر ؟

(١٥) ماذا قال السلطان حينما جرت ابنته وراءه حينما مرّ بحانوت بائع السمك ؟

(١٦) بماذا شعرت صابرة بعد أن تركت القصر ورجعت ثانية إلى بائع السمك ؟

(١٧) ما الذى شعرت به الأميرة بعد أن تركت بائع السمك ورجعت إلى القصر ؟

(١٨) كيف عاملت أباها بعد رجوعها ؟ وكيف عاملت الخدم ؟

(١٩) ما الذى شعرت به حينما رجعت إلى حجرتها فى قصر أبيها ؟

(٢٠) كيف قابلت صابرة ؟ وأين وجدتها ؟

(٢١) بماذا عاملت صابرة حينما وصفت لها حالها ؟

(٢٢) بماذا شغلت نفسها بعد رجوعها إلى القصر ؟

(٢٣) فى أى شىء قضت وقتها هى وصابرة ؟

(٢٤) كيف نظرت إلى الحياة فى النهاية ؟

(٢٥) ما الدروس التى تعلمتها من هذه القصة ؟

(٢٦) اذكر هذه القصة بعبارة صحيحة من عندك .

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٨٥١
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ٤٩٧ – ٢

١/٧٨/٢٥١

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

المكتبة الحديثة للأطفال

المجموعة الأولى

لتلاميذ من سن ٨ سنوات فأكثر

(١) يوم سعيد	(٢) الطفلان اليتيمان	(٣) الراعى الأمين
(٤) النمر الأسود	(٥) جميلة والوحش	(٦) زوجة الأب
(٧) الأميرة الصامتة	(٨) السمكة الذهبية	(٩) الدجاجة الخائفة
(١٠) العصفور المغرور	(١١) القرش الضائع	(١٢) الصندوق الزجاجى
(١٣) الأميرة الحسناء (سنوهويت)	(١٤) راعية الإوز	(١٥) الأبناء الثلاثة
(١٦) البنت النبيلة	(١٧) لعبة الأميرة	(١٨) القصر الذهبى
(١٩) المصباح الأزرق	(٢٠) الابن النبيل	(٢١) الحمامة النبيلة
(٢٢) شهر بان الصغيرة	(٢٣) البنت الوحيدة	(٢٤) الصديقات الثلاث
(٢٥) القلم الذهبى الجديد	(٢٦) الثعلب الحزين	(٢٧) الحزام السحرى
(٢٨) حورية البحر	(٢٩) الكلب الوفى	(٣٠) نسيان الجميل

المجموعة الثانية

لتلاميذ من سن ١٠ سنوات فأكثر

(١) بنت قاطع الخشب	(٢) سيف العدالة	(٣) الحظ السعيد
(٤) مثال الرحمة	(٥) الشاب الوفى	(٦) الأبناء جواهر الأم
(٧) الأميرة المدبرة	(٨) حارسة الورد	(٩) البطل الشجاع
(١٠) الأمير شفيق	(١١) الفيلسوف الزاهد	(١٢) الوطنية الصادقة
(١٣) زهرة السنط	(١٤) الجندى المجهول	(١٥) حلم يتحقق
(١٦) الفارس النبيل	(١٧) تحرير الوطن	(١٨) الأمير حسن
(١٩) الموسيقيون الثلاثة	(٢٠) تأديب الأميرة	(٢١) الشاب الشجاع
(٢٢) الأخ الأصغر	(٢٣) النظام سبب النجاح	(٢٤) الضعيف يغلب القوى
(٢٥) الصبر سبيل النجاح	(٢٦) الاتحاد قوة	(٢٧) الدب الخائن
(٢٨) الصياد المسكين	(٢٩) الكنز المفقود	(٣٠) الفقير النبيل